مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 04، ديسمبر 2024، صص: 87 - 102
تاريخ الاستلام(2023/01/03)تاريخ القبول (2024/11/25)تاريخ النشر (2024/12/25)

استثمار الحِجاج في تنمية مهارة التعبير الشفويّ لدى متعلمي السنة الخامسة من التعليم الابتدائي–مقاربة تداوليّة

Investing Argumentation in Developing the Oral Expression Skills Among Fifth-Year Primary Education Learners – A Pragmatic Approach

أماني مالك
مخبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2(الجزائر)، am.malek@univ-setif2.dz

ملخص:
تُعنى هذه الدّراسة بإبرازمواطن الحجاج في الخطاب التعليميّ، و أثرُه الفعال في تحسين هذه المهارة اللّغويّة، و إبراز الأبعاد التداوليّة للخطاب التعليميّ في ميدان التعبير الشفويّ، من خلال تقويم الملكة التواصليّة و اقتراح سبل علاجية لها، بالنظر في الحجاج كمرتكز من مرتكزات التداوليّة، تبعًا للإشكالية التالية: ما علاقة التداوليّة بالتعليميّة؟ وكيف يمكن الاستفادة من الحجاج في تطوير مناهج تعليمية اللّغة العربيّة، وخاصّة ما تعلّق بتعليميّة بالتعبير الشفويّ؟ تهدف بدورها إلى تبيان دور الحجاج في تنمية الكفاية التواصليّة، ومن نتائج الدراسة المتوصل إليها، نذكر أبرزها: تندرجُ الممارسة التعليميّة لميدان التعبير الشفويّ ضمن الخطاب التعليميّ، الّذي يعدّ خطابا تداوليّا بامتياز له بُعده الحجاجيّ، يسعى المتعلّم فيه إلى تبليغ المقاصد إلى المتعلّمين، بغية إحداث التأثيروالإقناع.

كلمات مفتاحية: الحجاج، الخطاب التعليميّ، التعبير الشفويّ، التداوليّة، المقاصد، الميدان، المتعلّم، التأثير.

Summary:
This study focuses on highlighting the elements of argumentation in educational discourse and its effective impact on improving this language

المؤلف المرسل: أماني مالك، **الإيميل:** am.malek@univ-setif2.dz

skill. It also emphasizes the pragmatic dimensions of educational discourse in the context of oral expression by evaluating the communicative competence and suggesting remedial strategies, considering argumentation as a cornerstone of pragmatics. This is in light of the following issue: What is the relationship between pragmatics and education? How can we benefit from argumentation in developing Arabic language curricula, particularly concerning the teaching of oral expression? The study aims to clarify the role of argumentation in enhancing communicative competence. Among the key findings of the study, we note the following: The practice of education in the field of oral expression falls within educational discourse, which is essentially a pragmatic discourse with its argumentative dimension. In this context, the learner aims to convey intentions to their peers to create influence and persuasion.
Keywords: Argumentation, educational discourse, oral expression, pragmatics, intentions, field, learner, influence.

1. مقدمة :

تعرّف اللّغة على أنّها ركيزة في حقول معرفيّة عديدة، بعدّها وسيلة تحقق التواصل؛ حيث تتأسس على إثرها العلوم، وتكونُ بذلك موضوعا لبعضها. ولعلّ الخطاب من أهّم الموضوعات الّتي يتمّ تناولها بالدراسة لما يبرزه من وظيفة اللّغة، وما تحققه من أبعاد تواصليّة، فيتمّ دراسته في ضوء مقاربات تعليميّة حديثة تبرز ماهيته ووظيفته الفعليّة، قائمة بذلك على نظريات الدراسات اللسانيّة الّتي تعنى بدراسة اللّغة من زاوية التخصص كمقاربة الخطاب التعليميّ في ضوء أسُس اللّسانيات التداوليّة، بغية إبراز دوره في تحسين الكفاية التواصليّة، وذلك باستثمار أبرز مرتكزات التداوليّة ومقولاتها الّتي تمكّن من تحليل الخطاب التعليميّ تحليلا تداوليّا يبرز أبعاده التواصليّة، وأهدافه التعليميّة التعلّميّة.

ومن هذا المنطلق، ارتأينا تبيان دور الحجاج وأثرُه في الخطاب التعليمي، وذلك باستثماره في تحسين الكفاية التواصليّة، من خلال ميدان فهم المنطوق والتعبير الشفويّ لتلاميذ السنة الخامسة ابتدائي، في محاولة للإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يمكن استثمار الحجاج في تحسين مهارة التعبير الشفويّ لدى متعلّمي السنة الخامسة ابتدائي؟، وهي إشكالية عامّة تتفرع عنها جملة من الأسئلة، من بينها:

-ما علاقة التداوليّة بالتعليميّة؟، كيف يمكن الاستفادة من مرتكز الحجاج في تطوير مناهج تعليميّة اللّغة العربيّة، وخاصّة ما تعلّق بتعليميّة ميدان التعبير الشفويّ في مرحلة التعبير الابتدائيّ؟، هل يُمكن إعادة النّظر في المقاربات التعليميّة المعتمدة في تعليميّة اللّغة العربيّة حاليا؛ كالمقاربة بالكفايات والمقاربة النصيّة لتناسب التوجه التداوليّ الحديث؟

تهدف هذه الدّراسة إلى بلوغ الأهداف التالية:

-إبراز الأبعاد التداوليّة للخطاب التعليميّ في حصة التعبير الشفويّ.

-اقتراح سبل علاجيّة لتحسين الكفاية التواصليّة في ضوء المقاربة التداوليّة.

-التّعرّف على مرتكز الحجاج، وأهميتها في تبليغ مقاصد الخطاب إلى المتعلّمين.

أُسست هذه الدّراسة البحثية وفق إطار عامّ للموضوع من صميم اللّسانيات التداوليّة بغية الإحاطة بحيثيات الدراسة، فحاولت الوقوف عند حدود المفاهيم الأساسيّة لمصطلحات الدّراسة، وخاصّة ما تعلّق بطبيعة العلاقة الّتي تربط بين المصطلحات، مثل علاقة التداوليّة باللّسانيات التعليميّة، والتعبير الشفويّ وعلاقته بميدان فهم المنطوق، إضافة إلى تبيان علاقة الحجاج بنظريّة المقاصد، وذلك بتقديم مفهوم الحجة ونظريّة السلالم الحجاجيّة، وعلاقتها بالمقاصد المراد تبليغها للمتعلّم، ثمّ تسليط الضوء على واقع استثمار الحجاج في العملية التعليميّة التعلّميّة، وذلك بالنظر في الوثائق التربويّة، وواقع الزيارات الميدانيّة وغايتها، بالإضافة إلى القيام بحوارات ومناقشات مع أساتذة السنة الخامسة من التعليم الابتدائيّ، ليسهل لذلك تبيان تجليات الحجاج في حصة التعبير الشفويّ، على مستوى ما هو كائن، وما يجب أنْ يكون، من خلال تقديم جملة الاقتراحات الّتي تسهم في حلّ إشكالية الدّراسة.

2.مصطلحات الدراسة ومفاهيمها

تشهد التداوليّة ثراء مصطلحيا، فهي من أبرز الحقول المعرفيّة الّتي تربطها علاقات بالعلوم الأخرى كاللّسانيات وغيرها، لذا ينبغي تحديد الإطار المفاهيميّ لمصطلحات هذه الدراسة، والّتي تصبّ في مفهوم التداوليّة وعلاقتها بالتعليميّة، بغية محاولة حيثيات الدراسة، نذكر أبرزها:

1.2 التداوليّة واللّسانيات التعليميّة: أيّة علاقة:

تُشكّل التداوليّة حقلا معرفيّا واسعا يرتبط بعلوم أخرى تغذيه، باعتبارها مرجعا أساسيّا له، وهذا ما أدى إلى صعوبة بلورة مفهومه وتصنيفه في مجال معرفيّ معيّن؛ حيث شهدت بدايات مرتبطة بالإشاريات، فتمّ تحديد ماهيتها كجزء من السيميائيّة في كتاب (**أسس نظرية العلامات**)؛ إذْ عرّفها "تشارلز موريس" (Charles Mouris) كما يلي:"إنّ التداوليّة جزء من السيميائيّة الّتي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[1]، فحددَ ماهيتها انطلاقا من العلاقة بين العلامة اللّسانيّة (دال ومدلول)، ومستعملها (المرسل) ضمن مقام معيّن في إطار عامّ وهو السيميائيّة. فظلّ هذا المفهوم فضفاضًا يجعلُ من التداوليّة حبيسة حقل معرفيّ واحد، ألا وهو "السيميائيّة"، وينبأ إلى عزلها عن بقية التوجهات المعرفيّة الأخرى.

لقد غدت التداوليّة توجها معرفيّا قائما بذاته، بناءً على أبحاث كلّ من "**أوستين**" (Austin)و"**غرايس**" (Grice)، وخاصّة حين "طوّرا من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم العمل اللّغويّ"[2]، وذلك من خلال إيجاد تفسير للعلاقة بين اللّغة والمنطق، إلى جانب اهتمامهم بطريقة توصيل معاني اللّغة وتفسيرها. أسهمت هذه الدراسات في تطوّر مفهوم التداوليّة وإكسابها طابعا من التجديد، وخاصّة في علاقتها مع علوم أخرى تستفيد منها كاللّسانيات التعليميّة، تبعًا لمواطن الالتقاء بينهما.

تستندُ التعليميّة (La didactique) إلى أبحاث التداوليّة باعتبارها مصدرا مهما تقوم عليه المناهج التربويّة؛ كون اللّغة أداة للتواصل الفعال بين المعلّم والمتعلّم داخل قاعة الدرس، فالبعد التداولي للخطاب التعليميّ حاضر بقوة، وبخاصّة في ميدان فهم المنطوق والتعبير الشفويّ الّذي يعدّ مدخلا أساسيا لتحسين الكفاية التواصليّة للمتعلّم، فنجد أنّ التعليمَ تجاوز مهمة التلقين إلى مهمة تحسين أداء المتعلّم، وجعْله قطبا فعالا في العملية التعليميّة التعلّميّة، من خلال مشاركته في الخطاب التعليميّ بصفة المرسل تارة والمتلقي تارة أخرى.

وعليه، تتبيّن لنا قيمة البعد التداولي للخطاب التعليميّ، وأهميته في تنمية الكفاية التواصليّة لدى المتعلّمين، وتحقق هذه الأبعاد التداوليّة ضمن العملية التعليميّة؛ إذْ "هناك شعار واحد يشغل أهل الاختصاص: الملَكة والتبليغ؛ أي تزويد المتعلّم أو المتعلّمين بالأدوات الّتي تمكّن من التواصل بواسطة الكلام، تواصلا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، إنّ الأمر لم يعد يتعلّق بتلقين بنية نحويّة معيّنة، بل إنّه يتعلّق بتوفير الوسائط اللّسانيّة الّتي تسمح للمتعلّم بإجراء اختبار بين مختلف الأقوال، وذلك بحسب المقام"[3]

يلخصُ هذا القول مرتكزات المقاربة التداوليّة للخطاب التعليميّ؛ حيث يدعو إلى ضرورة تمكين المتعلّم من هذه الأسس، لأداء اللّغة بحسب مقامها المطلوب، بغية تحقيق المقاصد الّتي تتأتى بإحداث التأثير والإقناع في المتلقي. وعليه، نخلص إلى حقيقة مفادُها أنّ اللّسانيّات التداوليّة حاضرة في واقع العملية التعليميّة التعلّميّة، مؤكدة بذلك على أهميّة البعد التداوليّ للّغة في الممارسة الصفيّة كونها وسطا اجتماعيّا، يجمع بين عناصر متفاعلة تحكمها قوانين محدّدة تُعرف بـ:"قوانين التخاطُب"، مشكّلة بذلك الخطاب التعليميّ بجميع أركانه الفاعلة.

2.2 التعبير الشفويّ

2.2.1 مفهوم التعبير الشفوي من منطلق المهارة اللغوية

يعدّ الجانب المنطوق من اللّغة الأساس في التعبير عن الأحاسيس وإيصال الأفكار من المتكلم إلى المخاطب، باعتباره سابقا للّغة المكتوبة؛ حيث يجسّد معنى التواصل لارتباط هذا

النشاط بالكفاية اللّغويّة عامّة والكفاية التواصليّة خاصّة، كما أنّه يحتل –التعبير الشفويّ- أهمية قصوى في فروع اللّغة العربيّة، "فهو غاية وما سواه وسائل لتحقيق هذه الغاية"[4]، كونه مهارة معقدّة تقومُ على تعاضد مجموعة من المهارات الدنيا لدى المتعلّم لإنتاجها (التركيب، التحليل، الربط، التفسير...)؛ حيث تعرّف المهارة على أنّها "قدرة عالية على أداء فعل حركي معقد في مجال معيّن بسهولة وسرعة ودقة مع القدرة على تكيّف الأداء للظروف المتغيّرة"[5]، وأيضا "هي نوع من السلوك الّذي يتمّ تدريب المتعلّم عليه، بحيث سيتطلع القيام به في سرعة ودقة وإتقان[6]؛ فالمتعلّم يستثمر ما درسهُ في بقية الأنشطة في نشاط التعبير الشفويّ من تراكيب لغويّة وأفكار، ممّا يساعده على الإفصاح عمّا يجول في خاطره عن موضوع محدّد ضمن مقام ما.

يُعرّف التعبير الشفويّ بأنّه "ذلك الكلام المنطوق الّذي يعبّر به الفرد عمّا يجول في نفسه من خواطرَ، وهواجس، ومشاعر، وأحاسيس، وما يزخر به عقله من رؤى أو فكر، وما يريد أنْ يزوّد به غيره من معلومات، أو نحو ذلك بطلاقة وانسياب، مع صحة في التعبير، وسلامة في الأداء (...)[7]. يشير هذا التعريف إلى أصل التعبير الشفويّ وطبيعته، وهو الجانب المنطوق الّذي تتجسد من خلاله جلّ الأفكار والأحاسيس الداخليّة الّتي يتأسس عليها موضوع التعبير بطريقة سليمة من ناحية الأداء اللّغويّ، فلقد ركّز على مفهوم الكفاية اللّغويّة وارتباطها بالتعبير الشفويّ.

كما يتمّ تعريفه بالنظر إلى أهميّته في تحسين الكفاية التواصليّة على النحو التالي: "التعبير الشفويّ عبارة عن الآليّة الّتي يستخدمها الطالب لإنتاج جملة وصوْغها من الأفكار والمعاني المرتبطة بموقف معيّن، يتطلّب التحدّث والاتّصال في قوالبَ لفظيّة مناسبة لموضوع التحدث ولحال السامعين، آخذا بالاعتبار قواعد الاتّصال والتّواصل اللّغويّ الفعال"[8].

يقوم هذا التعريف على مرتكزات المقاربة التداولية للخطاب الشفويّ، والّتي يكون فيها كلّ من الحجاج والمقاصد مرتكزا أساسيا في تحقق التواصل القائم في ضوء هذه المهارة؛ فمهارة التعبير الشفويّ ما هي سوى مدخل أساسيّ لتنمية الكفاية التواصليّة لدى متعلمي السنة الخامسة من التعليم الابتدائيّ، وتقوم بالأساس على تفعيل عنصر الحجاج في تبليغ المقاصد المرجو إيصالها إلى المتعلّمين في هذه المرحلة، لتكون بذلك المقاصد الغاية الأسمى من الخطاب الشفويّ المعبّر عنه بالخطاب التعليميّ، ويكون الحجاج فيها الفاعل الأوّل في تحققها، لتكون العلاقة بين هذه المصطلحات براغماتية تقتضيها طبيعة التداوليّة القائمة على تبيان البعد الوظيفيّ للّغة، والسعي إلى تحقيق التواصل الفعال الّذي تتوفر انطلاقا من مفهوم القصدية القائم على التأثير بفعل حُسن اختيار الحجج.

2.2.2 علاقة التعبير الشفويّ بميدان فهم المنطوق

يتمّ تدريس نشاط التعبير الشفويّ في ظلّ ميدان فهم المنطوق وإنتاجه، وذلك ضمن المقاربة بالكفايات الّتي جعلت منه الميدان الأوّل الّذي يتمّ تدريسه في المقطع التعلّمي، لأهميته في تحقيق حسن التفكير والتعبير عن الآراء والمشاعر شفويّا بأداء سليم يضمن التفاعل بين طرفي الخطاب، محققا بذلك عنصر التأثير والإقناع؛ حيث "يخضع فهم المنطوق لجملة من المرتكزات والمفاهيم التداوليّة الّتي تتجلّى في أفعال الكلام خاصة في التأثير في المتلقي (المتعلّم)، فتجعله يتفاعل أو ينفعل أمام المواقف التعلّميّة بفعل القوة الإنجازيّة الّتي يحدثها الخطاب اللّغويّ فيه"[9]

وهذا ما يضمن تداوليّة الخطاب الشفويّ ضمن مقام تعليميّ يركز بالأساس على القوة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة، باعتبارها أهّم نظريّة في اللّسانيّات التداوليّة؛ إذ تضفي على الخطاب التعليميّ الحاصل بين المعلّم والمتعلّم الطبيعة الحجاجيّة القائمة على المناقشة والحوار، وتوظيف الحجج للتأثير في المتعلّم (المتلقي)، وهذا ما يبيّن أهمية ميدان فهم المنطوق والإنتاج الشفويّ في العملية التعليميّة التعلّميّة، وفاعليته في تنمية الكفاية التواصليّة وتجسيدها على الوجه الصحيح بما يناسب شروط الخطاب التعليميّ.

3. علاقة الحجاج بنظرية المقاصد:

1.3 الحجاج: في مفهوم الحُجة والسّلالم الحجاجيّة:

يعرّف الحجاج بأنّه من أبرز مرتكزات النظرية التداوليّة، بالنظر إلى حضوره في الخطاب الّذي يشكّل مجموعة من التراكيب اللّغويّة الحاملة في طياتها بعدا حجاجيّا موجها لمتلقي الخطاب، بغرض إحداث الإقناع بناءً على توظيف حجة تناسب مقام التخاطب، وتضمنُ حدوث التواصل بعفويّة تنتفي عنها المقصديّة في حالات كثيرة، فهو "جهد إقناعي؛ حيث يعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريّا في اللّغة، لكون كلّ خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"[10]، فالسّمة الأساسيّة الّتي تضمن نجاح الخطاب وتداوليته، هو طريقة عرض الحجج المقدّمة المتضمنة في القول، فهي ركيزة في تفعيل الخطاب بالنظر إلى ماهيتها ووظيفتها، فهي عنصر دلالي تأخذُ مكانتها انطلاقا من السّياق، ليصير لها بعدا حجاجيّا تؤدي من خلاله الخطاب.

ولعلّ الحُجة من المرتكزات الّتي يتأسس عليها الخطاب بشتّى أنواعه، فهي تتمظهر في القول في شكل لفظة، أو قول، أو تمسّ الخطاب بأكمله، ويحكمها ترتيب منطقي حسب درجة التأثير؛ حيث لا بدّ للمرسل أنْ يرتبها بكيفية متدرجة تضمن حدوث رد فعل من لدن المتلقي كالانتباه مثلا، ثمّ إثارة فضوله إلى أنْ يصل به إلى درجة الاقتناع، فهي "مجموعة من سلاسل

مترابطة ومتماسكة تتمثل في أدلة، وهذه الأدلة يجب أنْ تكونَ منطقيّة بالأساس لكي يفهمها العقل"[11]، فتتجسد من خلال ذلك الترتيب المنطقيّ بناءً على معيار التفاوُت من ناحية شدّة تأثيرها في المتلقي، والمعبّر عنه بمفهوم السلاسل الحجاجيّة (Les échelles argumentatives) الّتي جاءت لتطرح تصوّرا لكيفية تدرّج العملية الحجاجيّة بين الحجة ونتيجتها.

ومن هنا، قدّم العالم الفرنسي "**ديكرو**" تصوّرا عامّا حول السلالم الحجاجيّة، مبرزا دورها في إنشاء الحجاج داخل الخطاب، فالحجج ترتب حسب الجمهور المستهدف (طبيعة المتلقي)، فكلّ متلقٍ يمثل حالة خاصّة، وذلك بمراعاة احتياجاته بغية التمكّن من اختيار المداخل الإقناعيّة لعرض الحجة وتبليغها، بناءً على الفعل الكلامي ذي القوة الإنجازيّة التأثيريّة الحامل لمبدأ القصديّة في تبليغ محتوى الرسالة إلى المتلقي، وفق قوانين السلالم الحجاجيّة الّتي تعدّ "تدافعا للحُجج وترتيبها حسب قوتها؛ إذْ لا تثبت غالبا إلّا الحجة الّتي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق"[12]، فهي نظرية ضمن الحجاج اللّغويّ يقوم عليها الخطاب، من خلال انتقاء الأفعال الكلاميّة المعبّرة عن درجة الحجة الّتي تحقق الإنجاز، وبالتالي يحدث التأثير والإقناع في المتلقي، بناءً على التفاعل الّذي يميّز الحجاج، باعتباره شكلا من أشكال التواصل والتفاعل، فهو عبارة عن ظاهرة اجتماعيّة ترتبط بالمنطق والاستدلال، يحكمها نظام لغويّ مرتبط بالسياقات الاجتماعيّة المتعلّقة بدواعي القول.

وبالنظر إلى طبيعة الخطاب التعليميّ الّذي يعدّ موضوعا للدراسة، فإنّنا نجده مبنيا في الأساس على مبدأ التفاعل والتبادل، والتحاور في إطار العلاقة القائمة بين المتخاطبين (المعلّم والمتعلّم)، الّتي تتوفر فيهما قصدية التأثير من خلال توظيف الحجج المنطقيّة المناسبة للسياق التعليمي التعلّمي؛ فالخطاب التعليمي حجاجيّ بالدرجة الأولى كونه خطابا تفاعليّا يهدفُ إلى تحسين مردود التواصل، وذلك من خلال تحسين الكفاية التواصليّة انطلاقا من أساليب حجاجيّة ينتهجها المعلّم بغية تبليغ مقاصده التعليميّة.

فما المقصود بنظرية المقاصد؟ وما دورها في الخطاب التعليميّ؟

2.3 نظريّة المقاصد: (Theory of Communicative Intentions)

يتبنى الخطاب في شكله العامّ على مرتكزات تداوليّة تحقق التواصل التفاعليّ بين المتكلم والمتلقي، من خلال تعاضدها مشكّلة بذلك خطابا لغويّا متكامل الأركان، ولعلّ من أبرز هذه المرتكزات نذكر: "القصديّة" أو ما يُعرف بـ:"نظرية المقاصد"؛ إذْ تعدّ لبّ النظرية التداوليّة كون التفاعل الحاصل في الخطاب ينتج عن مبدأ القصديّة المتضمّن في الأفعال الكلاميّة ذات الطاقة

الإنجازيّة، فكان لها الفضل في توضيح دور المقاصد في ممارسة العملية التواصليّة؛ إذْ "جعلتِ الحدث اللّغويّ حدثا إنجازيّا مؤثرا له علاقة بمقاصد الكلام؛ أي أنّه عبارة عن مجموعة من القواعد الدلاليّة الّتي لا يُمكنها أنْ تعلن دون تدخل عنصر القصد"[13]

فأضحت نظرية المقاصد جوهر نظرية أفعال الكلام، وهو المبدأ الّذي أدخله "أوستين" واستثمره في تحليل العبارات اللّغويّة والربط بينهما بالنظر إلى غرض المتكلم، والمقصد العامّ من الخطاب، والسياق التخاطبيّ. كما أنّها تشكّل أساس تحقُق الخطاب ونجاحه، وذلك بتحقُق القصديّة؛ فالفعل الكلاميّ لا يكون ذا طابع إنجازيّ تأثيريّ إلّا إذا حقّق المتكلم من خلاله مقصده، وهذا ما يظهرُ جلّيا في الخطاب التعليميّ الّذي لا يخلو من القصديّة بين المعلّم والمتعلّم، كونه خطابا تفاعليّا تأثيريّا يُحدث تغييرًا في مستوى المتعلّم وشخصه، فهو ليس اعتباطيّا، وإنّما مبنيّ على أسس علميّة من صميم النظريّة التداوليّة، الّتي تُبرز مكوّنات الخطاب التعليميّ، وتسعى إلى تبليغ المقاصد المرجوة، سواءٌ كانت صريحة كالمحتوى التعليميّ المتضمّن في الدرس، أو مضمرة كبعض القيّم والعادات المتضمنة في المحتوى، وهذا يتحققُ من خلال مبدأ التعاون لـ: "**بولغر ايس**" (**PaulGrice**) الّذي يسهم في إنتاج الخطاب، وحُسن تلقيه تبعًا للقصديّة الّتي ينبني عليها.

4. و اقع استثمار الحجاج في العملية التعليميّة التعلّميّة:

1.4 تجليات الحجاج في الوثائق التربويّة:

شهد مصطلح "الميدان" جملة من التطورات الطارئة على منهاج الجيل الثاني، وخاصّة منهاج اللّغة العربية من التعليم الابتدائيّ، وبالتالي نجد أربعة ميادين في اللّغة العربيّة، وهي على الترتيب:

-ميدان فهم المنطوق.

-ميدان التعبير الشفوي.

-ميدان فهم المكتوب.

-ميدان التعبير الكتابي.

وبما أنّ الدراسة الميدانية تخصّ الميدان الأوّل (فهم المنطوق والتعبير الشفوي)، فإنّنا سنعنى بتسليط الضوء على الأبعاد التداوليّة للحجاج المتضمنة في الوثائق التربويّة الّتي تشير إلى ملمح التخرج من الطور الثالث (السنة الخامسة من التعليم الابتدائي)، والّذي يتجسد من خلال تحقق الكفاءة الشاملة والكفاءات الختامية، فهي المقاصد المراد تحقيقها في نهاية الطور الثالث ابتدائي؛ حيث تتمثل الأبعاد التداوليّة لميدان فهم المنطوق والتعبير الشفوي فيما هو آت:

-التأكيد على مبدأ التفاعل أثناء الخطاب، ويتضح ذلك من خلال الكفاءة الختاميّة لميدان فهم المنطوق والتعبير الشفوي:" يفهم خطابات منطوقة يغلب عليها النمطان التفسيري والحجاجي ويتفاعل معها"[14]

-التأكيد على البعد التواصلي للّغة وارتباطه بالمقام والحجاج؛ إذْ جاء في المنهاج ما يلي:" يعبّر عن رأيه، ويوضح وجهة نظره، ويعللها انطلاقا من سندات متنوعة في وضعيات تواصليّة دالّة"[15]

فالأبعاد التداوليّة حاضرة بقوة في الوثائق البيداغوجية، الّتي تمت صياغتها في ضوء ما تنصّ عليه النظرية التداوليّة؛ كون الخطاب التعليمي ممارسة تداوليّة تحصل بين طرفين متفاعلين يسعى أحدهما إلى التأثير في الآخر، تبعا لسلسلة من الاستراتيجيات الّتي تضمن تبليغ مقاصد المعلّم إلى المتعلّمين والمرتبطة بمرتكزات التداوليّة بالدرجة الأولى.

ولا شكّ في أنّ الخطاب التعليميّ يرتكز على البعد الوظيفيّ الّذي تؤديه اللّغة وارتباطها بسياق معيّن، محدّدا بذلك كينونتها الاجتماعيّة، وهذا ما ينبغي أنْ يكون حاضرا في الوثائق التربويّة، ومجسدا فعليّا في العملية التعليميّة التعلّميّة، وهذا ما سنقومُ برصده من خلال الزيارات الميدانيّة وغايتها في العنصر الموالي لهذه الدّراسة التطبيقيّة.

2.4 و اقع الزيارات الميدانيّة وغايتها:

تمّ الحصول على ترخيص بالدخول إلى مؤسسات تربويّة (المدرسة الابتدائيّة)، بصفة قانونية بطلب من مديرية التربية لولاية عنابة؛ حيث قمنا باختيار ثلاث مؤسسات، غير أنّنا اخترنا دراسة مؤسسة واحدة، لمناسبة مقام الدراسة البحثية وحجمها، مع ضرورة الإشارة إلى الاختلافات الحاصلة على مستوى العملية التعليميّة التعلّميّة، نذكر هذه المؤسسات على الترتيب:

-**أوّلا**: ابتدائيّة عماري موسى.

-**ثانيا**: ابتدائيّة شيحاوي يوسف.

-**ثالثا**: ابتدائيّة عميرات حسين.

تمّ الدخول إلى هذه المؤسسات وذلك بالحضور في الغرف الصفيّة، ومتابعة مجريات العملية التعليميّة التعلّميّة المرتبطة بميدان (فهم المنطوق والتعبير الشفويّ). أمّا عدد الزيارات الميدانيّة، فقد بلغَ خمس زيارات؛ زيارتان للمؤسسة الأولى والثانية، وزيارة واحدة للمؤسسة الثالثة، وكان ذلك بالنظر إلى رأي الأساتذة وموقفهم من حضور حصة فهم المنطوق والتعبير

الشفويّ، بغية رصد تجليات الحجاج في الخطاب التعليميّ، وذلك على مستوى حصة التعبير الشفويّ الموجهة للمتعلّمين.

5. حوارات ومناقشات مع أساتذة السنة الخامسة من التعليم الابتدائيّ:

عمدنا إلى التواصل حضوريًا مع بعض أساتذة اللّغة العربيّة للسنة الخامسة من التعليم الابتدائيّ من مؤسسات مختلفة، غير الّتي تمّ سحب الخطابات التعليميّة الخاضعة للتحليل التداوليّ بمجموعة من الأسئلة، والّتي تتمحور حول مدى تطبيق المقاربة التداوليّة للخطاب التعليميّ في تدريس ميدان التعبير الشفويّ، والعمل على تحسين الكفاية التواصليّة للمتعلّم، بالنظر إلى ما تقوم عليه من مرتكزات تضمنُ تحقق هذا الهدف.

أجمعت جلّ المعلّمات اللّواتي تمّ مساءلتهن على عدم السماع بمصطلح "المقاربة التداوليّة" من قبل، على عكس المقاربات التربويّة الأخرى كالمقاربة بالمضامين، والمقاربة بالأهداف، والمقاربة بالكفايات؛ حيث تمّ تقديم لمحة عامّة وموجزة عن ماهية هذه المقاربة وما تحققه في حصة ميدان فهم المنطوق والتعبير الشفويّ، ولاقت استحسانا من لدن المعلّمات، وخاصّة بعد أنْ أشارت كلّ واحدة منهن إلى أسباب فشل التواصل والوقوع في الأخطاء التواصليّة، وسُبل علاجها من وجهة نظرهن واستنادا إلى ما هو كائن في الممارسة الصفيّة؛ حيث نجملها في النقاط التالية:

5-1-أسباب فشل التواصل عند المتعلّم:

-**أسباب نفسيّة مثل**: الخوف من الوقوع في الخطأ، والتعرّض للتنمّر، أو التعزيز السلبي.

- **أسباب معرفيّة مثل**: ضعف الرصيد المعجميّ، عدم القدرة على الربط المنطقي بين الجمل.

- **أسباب متعلّقة بالجانب البيداغوجي مثل**: تقليص الحجم الساعي، وعدم مناسبة الطريقة التعليميّة لخصائص مهارة التعبير الشفويّ، عدم مراعاة مبدأ الفروق الفرديّة.

2.5. سُبل علاجها من منظور الأساتذة:

-اعتماد طرائق تعليميّة حديثة تضمنُ مشاركة المتعلّمين الشفويّة.

-تشجيعهم على المطالعة لإثراء رصيدهم اللّغويّ.

-التعزيز الإيجابيّ، ويكونُ بالتشجيع المعنويّ والمراقبة المستمرة لنقاشات المتعلّمين وتصويبها.

-القيام بامتحانات شفويّة يتدرّب المتعلّم من خلالها على تحسين كفايته التواصليّة ضمانًا لحصوله على علامة جيّدة في الامتحان.

هذا فيما يخصّ رأي أساتذة اللّغة العربيّة للسنة الخامسة من التعليم الابتدائيّ في ماهية المقاربة التداوليّة، والأخطاء التواصليّة الّتي تعتري خطابات المتعلّمين الشفويّة؛ حيث سيتمّ تحليل الخطاب التعليميّ المتضمن في حصة التعبير الشفويّ، وذلك بالتركيز على تحقق البعد التداوليّ للخطاب التعليميّ، وما يحققه من تحسين للكفاية التواصليّة لدى متعلّم هذه السّنة، وهذا ما سيتمّ التطرّق إليه بالدراسة والتحليل في العنصر الموالي من الدراسة التطبيقيّة.

6. تجليات الحجاج في حصة التعبير الشفويّ:

1.6 ما هو كائن:

تمّ اختيار درس "**حديث عن الجراثيم**" في حصة فهم المنطوق والتعبير الشفويّ، الّذي تمّ تصويره بتاريخ: 28 مارس 2021 من الساعة الثامنة إلى التاسعة ونصف صباحا. تمّ تناوُل النّص المنطوق "**حديث عن الجراثيم**"، وهو درس من المقطع السّادس "**عالم العلوم والاكتشاف**"، والوحدة التعلّميّة الثانية "**قصة البنسلين**"، أمّا دراسة الصيغة فقد تمّ تناوُل صيغة (**لذلك**) من الكتاب المدرسيّ للسنة الخامسة ابتدائيّ، إلى جانب الإنتاج الشّفويّ (نشاط من الكتاب المدرسيّ).

يعدّ الحجاج ممارسة لغويّة تنتفي عنها القصديّة في حالات كثيرة؛ فهي أساس لا يخلو منه أي خطاب كونه موجها بغية التأثير في المتلقيّ. وقياسا بالخطاب التعليميّ، فإنّ الرسالة تشكّل أهّم مكوّن من مكونات عملية الاتّصال؛ حيث يضمّنها المعلّم برنامجا حجاجيا رصينا يضمن تركيز المتعلّم، دون إغفال تأثير الأفعال الكلاميّة ذات الطاقة الإنجازيّة الّتي تحوّل الأقوال إلى أفعال، وهذا ما يؤدي إلى تحسين الكفاية التواصليّة لدى المتعلّمين، وذلك بحسن استثمار مثل هذه المرتكزات التداوليّة وغيرها.

وبعد النّظر في محتوى هذا الخطاب التعليميّ، نجد تواترا كبيرا للحجج الّتي تمّ عرضها من لدن المعلّمة، تدعيما منها لإجابة المتعلّمين تارة، وتصويبها للإجابة الخاطئة تارة أخرى، تراوحت هذه الحجج بين حجج عقليّة أثبتتها التجارُب دون توظيف شاهد على ذلك (آية قرآنيّة، حديث نبويّ، أبيات شعريّة...إلى غير ذلك)، تستندُ فيها المعلّمة إلى خبراتها الاجتماعيّة ووُجهات النّظر العامّة الّتي تمتاز بالبساطة، وحُجج انفعاليّة أو ما يطلق عليها بـ: "**الاستمالة العاطفيّة**" الّتي تسعى من خلالها إلى التأثير في عاطفة المتعلّمين وميولهم، واتّخاذها مدخلا إقناعيّا تمرّر عبره المقاصد المرجو تبليغها للمتعلّمين، وبخاصّة حين تكونُ مستقاة من واقع المتعلّم، فيسهّل عليه فهمها، ويعملُ على تبنها في إجابته خاصّة أثناء حصة التعبير الشفويّ؛ حيث سنخضع نماذج

منها إلى ما تنصّ عليه نظرية السلالم الحجاجيّة لمتابعة كيفية ترتيب المعلّمة للحُجج، وذلك بتحقيقها للإقناع من خلال تتبُع عرض الحجج كما هو موضح على النّحو التالي:

- **المثال الأوّل:**

النتيجة: إدراك قيمة الاختراع في حياتنا اليوميّة.

ح3/ يحتاجُ صنع هذا الاختراع (السّاعة) إلى ذكاء وتفكير.

ح2/ الحاجة أمّ الاختراع.

ح1/ نحتاجُ إلى الساعة لتحديد الوقت.

وضعية الانطلاق: تحديد مُدة الدّرس.

تمثّل هذه الحجة حجة عقليّة، تمّ ترتيبها من قبل المعلّمة ترتيبا منطقيّا لا خلل فيه.

- **المثال الثاني:**

النتيجة: الوعي بخطورة الجراثيم وكيفيّة الوقاية منها.

ح3/ الوقاية خير من العلاج.

ح2/ تنتقل الجراثيم من يد إلى يد.

ح1/ يجبُ غسْل الأيدي بالماء والصابون.

وضعية الانطلاق: تُشكّل الجراثيم خطورة على الصّحة.

تُمثل هذه الحجة حجة عقليّة لم تستند فيها المعلّمة إلى أيّ صنف من أصناف الحجاج غير مكتسباتها القبليّة؛ حيث نجد أنَّ الحجج الّتي تمّ عرضها غير مرتبة ترتيبا ديناميّا يضمن إقناع المعلّم، لهذا نقترح بديلا لها يتمثل فيما يلي:

النتيجة: الوعي بخطورة الجراثيم وكيفيّة الوقاية منها.

ح4/ الوقاية خير من العلاج.

ح3/ يجبُ غسل الأيدي بالماء والصابون.

ح2/ تُعرض الإنسان لأمراض خطيرة.

ح1/ تنتقلُ الجراثيم من يد إلى يد.

وضعية الانطلاق: تُشكّل الجراثيم خطورة على الصّحة.

- المثال الثالث:

النتيجة: لوازم الحياة تتطلبُ الاختراعات.

ح4/ الدول الكبرى (أمريكا، الصين) تتنافسُ على الاختراعات.

ح3/ لا يُمكنُ الاستغناء عن الاختراع في ظلّ التطوّرات الحاليّة.

ح2/ طفل في مثل عمركم اخترع روبوت متحرك، ثُمّ عرضَه في التلفاز.

ح1/ منْ يصنع القلم هو ذكي وعبقريّ.

وضعية الانطلاق: الاختراع يحتاجُ إلى ذكاء وتفكير.

وهي حُجة انفعاليّة تخاطبُ عاطفة المتعلّم، وذلك بتشجيعه على تفعيل ذكائه، وتوظيفه مستقبلا في التفكير العلميّ.

من خلال ترتيب الحجج وفق السّلم الحجاجيّ، نلاحظ حُسن ترتيب المعلّمة للحجج تبعا لترتيب ديناميّ تَحقق من خلاله الإقناع والتأثير في المتلقي، وبالتالي نجد أنّ المعلّمة تمكّنت من تسطير برنامج حجاجيّ مرتبط بطبيعة الموضوع (حديث عن الجراثيم)، والإشارة إلى قيمة الاختراعات لإيصال مقاصد معلنة في أغلبها إلى المتعلّمين، والمتمثّلة في ضرورة الوعي بقيمة الاختراعات للتفكير في القضاء على الأمراض، من خلال اكتشاف دواء أو لقاح للحفاظ على صحة الإنسان، وهذا ما يفسر قدرتها على الإقناع وتبرير صحة المعارف الّتي تنقلها إلى المتعلّمين، حتّى وإنْ كانت لا تملكُ معرفة مسبقة عن نظرية السلالم الحجاجيّة؛ فالخطاب التعليميّ يقومُ على ضرورة تسطير برنامج حجاجيّ يضمن تفاعل المتعلّم وتواصله الشفويّ، وبالتالي العمل على تحسين كفايته التواصليّة في ضوء مرتكزات المقاربة التداوليّة؛ كالحجاج الّذي يُحققُ بعدا تداوليّا في الخطاب التعليميّ، يؤدي إلى تحقُق الكفايات المستهدفة من حصة التعبير الشفويّ، أبرزها: تنميّة الكفاية الختاميّة المتمثلة في الكفاية التواصليّة، وتدريب المتعلّمين على التواصل الشفهيّ، ويوضح وجهة نظره ويُعلّلها بلسان عربيّ؛ أي تدريبهم على الحجاج وتوظيفه توظيفا يُمكّن من تحسين مردود التواصل، وتبليغ المقاصد التعليميّة، بما يخدمُ الكفاية التواصليّة لدى المتعلّمين.

2.6 ما يجبُ أنْ يكونَ (توصيات و اقتراحات):

بعد القيام بالتحليل التداوليّ للخطاب التعليميّ المختار ضمن حصة التعبير الشفويّ، نقدّم جملة من التوصيات والاقتراحات عمّا يجب أنْ يتحققَ في واقع العملية التعليميّة التعلّميّة، نذكرها على النّحو التالي:

-العمل على ما تنصّ عليه المقاربة التداوليّة في واقع الميدان، وعدم الاكتفاء بها كنظرية تنصّ عليه الوثائق التربويّة.

-القيام بتكوين مكثف ودقيق لمعلّمي المرحلة الابتدائيّة لتزويدهم بالمعارف اللّازمة عن كيفية تدريس ميدان فهم المنطوق والتعبير الشفويّ، بالاعتماد على المقاربة التداوليّة، بغية تحسين الكفاية التواصلية لدى متعلّمي هذه المرحلة.

4. خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، وهي كالتالي:

1-يشكّل التداوليّة توجها معرفيًا تستند التعليميّة إلى نظرياته في دراسة البعد التواصليّ للعملية التعليميّة التعلّميّة، فالعلاقة بينهما وطيدة ووثيقة الترابط؛ لأنّ إشكالات التعليميّة من صميم ما تسعى التداوليّة إلى تقديمه من إجابات.

2-تندرجُ الممارسة التعليميّة لميدان التعبير الشفويّ داخل قاعة الدرس ضمن الخطاب التعليميّ، الّذي يعدّ خطابا تداوليًا بامتياز له بعده الحجاجيّ، يسعى المعلّم فيه إلى تبليغ المقاصد إلى المتعلّمين بغية إحداث التأثير والإقناع.

3-يعرّف خطاب معلّم اللّغة العربيّة للمرحلة الابتدائيّة (السنة الخامسة ابتدائيّ)، على أنّه خطاب يفتقر إلى تسطير برنامج حجاجيّ رصين يهدفُ إلى تمكين المتعلّمين من تحقيق الكفايات المستهدفة من نشاط التعبير الشفويّ، من بينها: القدرة على التواصل مشافهة في وضعيات تواصليّة دالّة.

وبناءً على هذا، نعرض جملة من التوصيات على النحو التالي:

-اعتماد المقاربة التداوليّة كمرجعيّة تطبيقيّة تُشكّل حضورًا في واقع الممارسة التعليميّة، بالتركيز على القيام بتكوين بيداغوجيّ يضمنُ للمتعلّمين المعرفة الشاملة والدقيقة، بما تفتضيه المقاربة التداوليّة من مرتكزات تبرزُ البعد التواصليّ للّغة.

-التركيز على دراسة الحجاج في الخطاب التعليميّ، بغية الوقوف على مختلف المداخل الإقناعيّة الّتي تحقق الكفاية التواصليّة في حصة التعبير الشفويّ.

-عدم الاكتفاء بالدراسات التداوليّة عند بناء الوثائق التربويّة، كخلفيّة نظريّة تعنى بالجانب التواصليّ للّغة، بل لا بدّ من تفعيل مختلف الأبعاد التداوليّة، بالنظر إلى توظيف مرتكزات التحليل التداوليّ في تدريس نشاط التعبير الشفويّ، لتقويم كفاية المتعلّمين التواصليّة، واقتراح سُبل علاجيّة في ضوء ما تنصّ عليه المقاربة التداوليّة.

مراجع البحث وإحالاته:

1 فرنسواز أرمينيكو، المقاربة التداوليّة، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987، ص 12.

2 فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص 20.

3 ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، تر: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992، ص 46.

4 خالد ناجي أحمد الجبوري، صعوبات تدريس التعبير الشفهيّ في المرحلتين المتوسطة والإعدادية من وجهة نظر المدرسين، مجلة الفتح، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى، العدد الحادي والخمسون، أيلول 2012، ص 404

5 مامة دحماني، مهارة التدريس بين الممارسة والكفاءة: الطور الابتدائي أنموذجا، مجلة رفوف، العدد 07، سبتمبر 2015، ص 261

6 المرجع نفسه، ص 261

7 محمّد علي الصويركي، التعبير الشفوي: حقيقته، واقعه، أهدافه، مهاراته، طرق تدريسه وتقويمه، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2014، ص 23

8 المرجع نفسه، ص 23.

9بلقاسم بن قطاية، تجليات التداوليّة في فهم المنطوق أثناء العمليّة التعلّمية، مجلة مقاليد، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، العدد 15، ديسمبر 2018، ص 08.

10ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجيّ، مجلة عالم الفكر، المجلد 30، الكويت، العدد الأوّل، سبتمبر 2001، ص 97.

11كمال عمران، حجاجيّة الصورة في الخطابة السياسيّة لدى الإمام علي –رضي الله عنه-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 134.

12عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص 500.

13شريفة أحمد حسن القرني، عائشة صالح أحمد بابصيل، البعد القصديّ لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآنيّ، المجلد الثالث، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة جدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، العدد الأوّل، يناير 2019، ص 105.

14 اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائيّ، الديوان الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، 2016، ص 39.

15 المرجع نفسه، ص 41.

6. قائمة مراجع البحث

1. فرنسواز أرمينيكو، المقاربة التداوليّة، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987.
2. فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007.
3. ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، تر: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992.
4. بلقاسم بن قطاية، تجليات التداوليّة في فهم المنطوق أثناء العمليّة التعلّمية، مجلة مقاليد، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر، العدد 15، ديسمبر 2018.
5. ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجيّ، مجلة عالم الفكر، المجلد 30، الكويت، العدد الأوّل، سبتمبر 2001.
6. كمال عمران، حجاجيّة الصورة في الخطابة السياسيّة لدى الإمام علي –رضي الله عنه-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
7. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2004.
8. شريفة أحمد حسن القرني، عائشة صالح أحمد بابصيل، البعد القصديّ لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآنيّ، المجلد الثالث، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة جدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، العدد الأوّل، يناير 2019.
9. اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائيّ، الديوان الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، 2016.